

اتحاد مصر وسورية

دعم للاتجاه الثوري وضمانة لاستمراره

لوقيل، قبل بضع سنوات لأشد الاحزاب والفئات والافراد ثورية في العالم، ان الشعب العربي سوف يخطو هذه الخطوات التي حققها في السنوات الاخيرة، لما استطاع أحد من هؤلاء ان يصدق ولو امكان حدوث بعض الذي حدث. ذلك ان الثورة العربية الحديثة ثورة عميقة أصيلة، وهي لذلك غنية بالمفاجأة والابداع، تخفي اضعاف ما تعلن، وتفاجيء ابناؤها بمقدار ما تفاجيء البعيدين من خصوم واصدقاء. فالامة العربية اليوم اخصب تربة للثورة في العالم، لأن ثورتها هي على مقياس آلامها وتناقضاتها الداخلية والخارجية. فلا غرابة ان عجزت الحركات الثورية في العالم عن توقعها وتقديرها حق قدرها، لأن هذه الحركات، بعد ان قطعت اشواطاً في تحقيق أهدافها، لم تعد تمثل آلاماً وتناقضات بمثل هذا العمق والوضوح. ولا غرابة في ان تفاجأ هذه الحركات ويفاجأ العالم معها بظهور شخصية الامة العربية الواحدة، وكانوا يحسبونها أمماً متباينة، وبظهور حركة الوحدة العربية تحمل في ثنايا تيارها الجارف، نضال التحرر الوطني والثورة الاجتماعية والسلم العالمي، بعد ان كانوا يحسبونها وهما وخيالاً او تدبيراً مصطنعاً خطراً يفتعله الاستعمار وتلوذ به الرجعية. ويتسم بالتعصب والانعزال.

وكانت نظرتنا دوماً الى الوحدة العربية أنها هدف ثوري وانها اكثر اهدافنا ثورية،

لذلك لا يمكن ان تلتقي بشكل من الاشكال مع الاستعمار والرجعية ، خاصة بعد ان اعطيناها مفهومها الشعبي المستمد من طبيعة المرحلة التاريخية التي تجتازها امتنا، وهي مرحلة تحرر مزدوج من الاستعمار والرجعية . فان اي توحيد لبعض اجزاء شعبنا لا بد ان يتفاعل مع هذا النضال القومي الاجتماعي وان يصبح بالتالي الدعامة والقاعدة لهذا النضال . ولذلك رأينا المشروعات الاتحادية المشبوهة، والتي كانت تطرح للتخدير اكثر منها للتحقيق، تزداد انفضاحاً وانهياراً بمقدار ما كان هذا المفهوم الشعبي للوحدة يزداد وضوحاً وانتشاراً. واذا كانت البساطة في طرح المشكلات ووضع الحلول من مميزات الثورات التاريخية، فان الثورة العربية قد حققت هذا الشرط عندما اتخذت اتجاهاً يضع بوضوح بديهي، الشعب العربي في صف، واعداء حريته ووحدته وتقدمه مجتمعين متحالفين في صف آخر.

وقد قطع شعبنا في معظم اقطاره اشواطاً جديدة في طريق الوعي الثوري، حتى كدنا ننسى اليوم، تلك الصورة القائمة التي كانت تقترن بالوحدة العربية وتترامى فيها الخيالات المريضة والافكار الممجّدة للقوة والسطوة، خيالات وافكار الملوك وزعماء الاقطاع الذين كانوا يحلمون بالوحدة كجمع التخلف الى التخلف، والاستغلال الى الاستغلال، وهذا هو بالذات ما كان يفقد نضال الوحدة الدم والعصب، ويلقي على طريقه الظلمات. اما اليوم فقد اصبح واضحاً للشعب بفضل الوعي الثوري الذي صقله النضال، ان الوحدة عملية تحرر وخلق وبناء، وانها لا تكون ممكنة الا بمقدار ما يتضح الانقسام بين الحرية والاستعمار، والتقدم والرجعية، وبمقدار ما يتوحد نضال الشعب ضد الاستعمار والرجعية ليس في نطاق الوطن العربي فحسب، بل على النطاق العالمي ايضاً. فان شعبنا الذي فرضت عليه التجزئة زمناً طويلاً لا بد له عندما تدعوه مصلحته للتكتل ضد اعدائه الخارجيين والداخليين، من ان يتغلب على جميع الحواجز والمصالح والاعتبارات المصطنعة التي اقترنت بوضع التجزئة، وان يرتفع الى مستوى من العاطفة والوعي ومن انفتاح النفس وسعة الافق، يسهل عليه في وقت واحد، ان يلتقي بنفسه وبالانسانية، وان يدرك الروابط ويتحسس بالمشاعر التي تتجاوز حدود قومه وأرضه، كما تتجاوز حدود اقطاره واقليمه، خاصة وان طريق

الوحدة قد انفتح امامه في نفس الوقت الذي بدأت فيه شعوب العالم تنفتح لتفهم قضيته، بعد ان اصبحت الامة العربية وقضيتها في طليعة القوى والقضايا الثورية في العالم .

وليس ادل على صدق ثورية الوحدة العربية وسلامة اتجاهها، من البداية التي شقت بها لنفسها طريق التحقق، والتي لم تكن صدفة، بل فرضها منطق هذه الوحدة الثورية فرضاً، ونعني بها: اتحاد مصر وسورية . ونستطيع القول ان العصر الحديث لم يعرف امة توحدت بمثل هذا الحد من سلامة الاتجاه وعمق الوعي القومي والانساني . فمصر وسورية اليوم لا تمثلان سياسة التحرر والتقدم فحسب، بل بالاضافة الى كونهما القلعتين الجبارتين اللتين تحطمت امامهما جميع أحلاف الاستعمار ومشاريعه وفضغه وعدوانه، تمثلان في مجال السياسة الدولية، أنسلم سياسة مهياة لان تبدل العلاقات الدولية تبديلاً ايجابياً عميقاً يسير بها نحو السلم والتعاون، ويضمن للشعوب الحرية والتقدم، تلك هي سياسة الحياد الايجابي . ولقد كان من الصعب على الوفود التي اجتمعت في باندونغ واقرت هذه السياسة ان تتوقع الدور الكبير والنتائج الخطيرة التي ادتها هذه السياسة بعد ان تبنتها مصر وسورية، واصبحت من خلالها، تعبيراً عن اهداف الامة العربية وامكانياتها الثورية . وما ذلك الا لان الحركة الثورية العربية قد تجاوزت طور السلبية والضيق، وامتزج سيرها ومصيرها بالسير والمصير الانسانيين، وغدا تعبيرها عن حاجات شعوبها، تعبيراً عن حاجات وتطلعات جميع الشعوب المؤمنة بالحرية والمناضلة في سبيل التقدم والتعاون والسلم .

لم يعد الاتحاد مشروعاً من المشروعات وشعاراً من بين الشعارات، بل اصبحت حقيقة واقعة وقدرراً محتوماً، لأن وراءه امة كبيرة تعاني ظلماً وألماً عميقين، وتناضل في مختلف اقطارها وعلى عدة جبهات في الخارج والداخل لتظفر بحريتها وتنطلق في أداء رسالتها . ووراء هذا الاتحاد ايضاً منطق التاريخ واتجاه العصر وارادة الحرية والتقدم والسلم عند شعوب العالم، لأن هذه الشعوب أخذت تدرك احتياج العالم الى الدور الايجابي المهياً للامة العربية الحرة الموحدة الناهضة .

ولكن المرتكز الاساسي لارادة الامة ولمنطق التاريخ واتجاه العصر يبقى هو الشعب بوعيه ونضاله . وما دام الوعي الشعبي غير مكتمل والنضال الشعبي لم يبلغ كل مداه، فحتى الضرورات التاريخية لا تجد سبيلاً الى التحقق . وعندما طرحت فكرة الاتحاد بين مصر وسورية بصورة رسمية قبل عام ونصف . لم تكن ثمة ضمانات جدية لكيلا يؤجل تحقيق هذه الفكرة الى مستقبل بعيد . ولكيلا تعصف بها في داخل سورية اية مؤامرة او مغامرة، تلتقي اهدافها مع اهداف الاستعمار والصهيونية . ثم تعاقبت على مصر وسورية والبلاد العربية ازمات واحداث، كان يمكن ان تشغلنا عن الاتحاد، وتبعدنا حتى عن التفكير فيه . فاذا بها تهيء وسائله وتسد النقص الذي كان لا يزال قائماً في وعي الشعب في سورية واكثر منه في مصر .

ولاول مرة نلمس لمس اليد ان هدفاً قومياً من اهم اهدافنا قد اصبح في مأمن من كل خطر، وان تحقيقه العاجل، وعلى الشكل القوي السليم، اصبح قدراً لا تقوى على رده او تبديله جميع القوى الخارجية المعادية، منذ ان اصبح ملكاً فعلياً للقوى الشعبية في مصر وسورية .

٦ كانون الاول ١٩٥٧